(غزوة مؤتة)

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ونستهديه وَنَسْتَغْفِرُهُ ونتوب إليه ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُور أنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ القائل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ونشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله القائل : (عَيْنَانِ لَنْ تَمَسَّهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد فيقول الله تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ)

• أيها المسلمون : تتشرف الأمم بقراءة سيرة روادها ، وتتسابق الأجيال على الإقتداء بأبطالها ، فنحن المسلمون نقتدى بسيد ولد آدم نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذى أخرجنا الله به من الظلمات إلي النور قال تعالى : (...قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) فالمسمون اليوم تتقاذفهم الأمواج العالية والرياح العاتية! فحتى يصبروا على هذا الواقع الأليم عليهم أن يتذكروا حياة الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ويقتدوا بهم! فتعيش الأمة الإسلامية اليوم أحداثا دامية في كل قطر من أقطارها بسبب طغيان قادتها وروادها! ففى كل يوم يموت المئات ولا مجيب! فى حين أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جهز جيشا من كافة جنوده بسبب قتل مسلم واحد! لأنّ دم المسلم عند الله أعظم من الدنيا كلها فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَزَوَال الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللهِ من قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ) .

• ففي مثل هذا الشهر جمادى الأولى من العام الثامن للهجرة أي منذ ألف وأربعمائة وثلاثين تقريبا كانت غزوة مؤتة انتصارا لقتل مسلم واحد! كيف ذلك ؟ فبعد صُلْح الحديبية تفرغ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لدعوته فبعث رسله إلى قادة العالم يدعوهم إلى عبادة الله وكان من بين هؤلاء الرسل : الحارث بن عُمَيْر رضي الله عنه الذي بعثه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ملك بُصْرَى! وعندما نزل الحارث مؤتة قتله رجل من الغساسنة كان مواليا للروم يسمى شُرَحْبِيل بن عمرو خروجا على عادة العرب يومئذ بأن الرسل لاتُقتل!!!

• وقبل الخوض فى أحداث الغزوة أنظروا إلى عزة الإسلام في خطاب الرسول لملك الروم فيقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ! مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ ! سَلاَمٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ! أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ (يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لاَ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) فالأريسِيِّيون : فرقة من فرق النصارى كانوا يؤمنون بالتوحيد! ومعنى قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ) أي الذى يعتنق الإسلام من أهل الكتاب يعطيه الله أجره مرتين : أجرا لأنه كان نصرانيا أو يهوديا ثم الأجر الثانى لأنه اعتنق الإسلام قال تعالى من سورة القصص : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) .

• فجملة أهل الكتاب تطلق على كل مسيحي أو يهودي يؤمن بأن الأنبياء رسل الله فإذا آمنت المرأة المسيحية أو اليهودية بذلك يجوز للمسلم أن يتزوج منها لقوله تعالى من سورة المائدة آية رقم : 5 (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ) أما إذا اعتقدت بأن الرسول إله أو ابن إله فليست من أهل الكتاب بل هي مشركة لا يجوز زواجها قال تعالى من سورة البقرة آية رقم :221 (وَلاَ تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) .

• لقد خاطب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو رئيس دولة صغيرة عمرها سبع سنوات! وجيشها 3000 جندي تقريبا يخاطب من ؟ يخاطب هرقل زعيم الإمبراطورية الرومانية التى تسيطر على النصف الغربى للكرة الأرضية وتاريخها أكثرمن 1000 سنة! وجيشها بالملايين! نعم لما بلغ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقتل الحارث بن عُمَيْر جهز جيشاً من ثلاثة آلاف مقاتل لغزو مؤتة وتسمى اليوم الكَرَك ثم أعطى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راية بيضاء لزيد بن حارثة رضي الله عنه وأمَّره عليهم ثم قال : (أميرالناس زيد بن حارثة فإن أصيبَ فجعفربن أبي طالب ، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة) وأوصاهم أن يدعوا من هناك إلى الإسلام وإلا استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم ثم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، اغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا ، وَلاَ تَغْدِرُوا ، وَلاَ تُمَثِّلُوا ، وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا أو امْرَأَةً ، وَلا كَبِيرًا فَانِيًا ، وَلا مُنْعَزِلاً بِصَوْمَعَةٍ)

• ولما عزم الجيش على الرحيل ودعهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والدموع تفيض من عينيه ومن عيون أصحابه رضوان الله عليهم وتحرك الجيش الإسلامي إلى الشمال حتى نزل مَعَانَ جنوبي الأردن فبلغتهم الأخبار بأنّ الروم جمعوا لهم أكثر من مائتي ألف فلما علموا بذلك أقاموا في معان ليلتين يفكرون في الأمر! ثم قالوا : هل نكتب للرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونخبره بعدد عدونا وما أعدوا لنا ؟ فإما أن يُمددنا بالرجال أو يأمرنا بأمره فقام عبد الله بن رواحة يُشجع الناس فقال أيها الناس :

* والله إنّ الذى تكرهونه هو من خرجتم تطلبونه يعني الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولاعدة ولابكثرة ولا قوة...ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين : إما ظهور وإما شهادة فتشجع المسلمون ومضوا لقتال عدوهم في سبيل الله حتى نزلوا مؤتة! والتقى الجمعان وبدأت المعركة! فتقدم الأمير الأول : زيد بن حارثة فأصابه رمحٌ فخر شهيداً رضي الله عنه ثم تسلم الراية الأمير الثانى جعفر بن أبي طالب فقطعت يده اليمني فاستلم الراية بيده اليسرى فقطعت ثم استشهد رضي الله عنه فعوضه الله بجناحين يطير بهما في الجنة ولذلك سمي بجعفر الطيار وبجعفر ذي الجناحين ، ثم تسلم الراية الأمير الثالث عبد الله ابن رواحة حتى قتل رضي الله عنه ، فلما استشهدوا الثلاثة إرتبك الناس فتشاوروا على خالد بن الوليد رضي الله عنه! .

* فاستلم خالد بن الوليد راية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقام ليلا بخداع عدوه فجعل من فى اليمين فى الشمال والعكس ، ثم أمر مؤخرة الجيش بأن تثير الغبار ويكثرون من الأصوات خلف الجيش وفي الصباح فوجئ جيش الروم بتغيّر الوجوه والأعلام وسمعوا كثرة أصوات فظنت الروم أن مددًا قد جاء للمسلمين فقذف الله الرعب فى قلوبهم فكانت هزيمتهم! وبذلك نجح خالد في خداع عدوه وحقق النصر ثم رجع بالمسلمين إلى المدينة المنورة .

* وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في المدينة يُشاهد المعركة عن طريق الوحي فقال : (أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ ، ثم قال وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ : ثُمَّ أَخَذَهَا سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) وانصرف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتفقد أسر الشهداء الثلاثة...وعاد الجيش إلى المدينة واستقبله الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة رضي الله عنهم يُحيونه على هذا النصر العظيم ضد أكبر قوةٍ عرفها العالم آنذاك! واستشهد يومئذ من المسلمين اثنا عشر رجلاً ، أما الرومان فلم يعرف عدد قتلاهم!!! وقد أثنى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على خالد رضي الله عنه ولقّبه بسيف الله المسلول!!! .

• والسؤال : هل غاب دهاء خالد وحكمته عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بادئ الأمر فلم يوص له بإمارة كالأمراء الثلاثة ؟ الجواب : لم تغب عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حكمة خالد! ولكن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشرع لأمته! فهذا تعليم منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته أن يأخذوا حذرهم فى كل أمورهم فلا يثقون بأحد إلا بعد التعامل معه! فخالد رضي الله عنه إعتنق الإسلام قبل غزوة مؤتة بشهور! فمن يدرى فقد يكون إسلامه خديعة ؟ إنّ هذه الغزوة لتذكرنا بواقعنا الأليم فى ظل قادة نسوا الله فأنساهم أنفسهم! فقد قامت غزوة مؤته إنتصاراً لمسلم واحد قتله الأعداء في سبيل الله ، وهكذا كانت الغزوات في الإسلام انتصاراً للمظلومين وللمستضعفين .

• وليس فى عصر النبوة فقط فإن تركنا عصر النبوة بقرنين تقريبا وتحديدا فى مثل هذا الشهر جمادى الأولى أيضا من عام : 223 الموافق شهر أبريل من عام : 838 وجه المسلمون جيوشهم أيضا إنتصارا لمسلمة إستغاثت بالمعتصم فقالت وامعتصماه ! عندما لطمها رومي فمن هو المعتصم ؟ إنه ثامن الخلفاء العباسيين بويع له وهو ابن ثمان وثلاثين سنة لذلك قيل : إن فرسان قريش بدأت بحمزة بن عبد المطلب وانتهت بالمعتصم ، فعندما كان المسلمون مشغولين فى الفتوحات الإسلامية أغار إمبراطور الروم على بعض الثغور الإسلامية فأحرقها وأسر أهلها ، فأسر من النساء أكثر من ألف امرأة ، وفقأ أعين المسلمين وقطع آذانهم وأنوفهم ، فعندما علم المعتصم بصيحة المرأة خرج على رأس جيش كبير جهّزه بالكثير من آلات الحرب فدمّرت جيوشه مدينة أنقرة ، ثم اتجهت جيوشه إلى جنوب تركيا يريد عمورية وهي مدينة حصينة منيعة ذات أسوار عالية فضرب عليها حصارا دام نصف عام تقريبا حتى استسلمت المدينة ودخلها المسلمون في : 17 من رمضان سنة 223 هـ الموافق 13 من أغسطس 838 م وقد قُتل من أهلها ثلاثون ألفا وغنم المسلمون غنائم عظيمة ، وأمر الخليفة المعتصم بهدم أسوار المدينة المنيعة وأبوابها ، وكان لهذا الإنتصار أثر كبير ودليل على قوة المسلمين في العالم حينذاك .

• وفي عصرنا هذا نسمع ونشاهد صيحات الأرامل وصراخ اليتامى بالمئات يومياً ولامجيب! ويستغيث المستضعفون في كل مكانٍ ولا نصير! بل إن من قادة المسلمين اليوم من يوجهون جيوشهم ضد كل من يقول لا إله إلا الله * محمد رسول الله لقد ابتليت بلادنا بالمنافقين الذين يحاربون الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدون خجل أو حياء! هؤلاء يتسمون بأسمائنا وينتسبون إلى ديننا! يقول أحدُ زعماء غيرالمسلمين : نحن لا نخشى الإشتراكيات ولاالثورات...نحن فقط نخشى الإسلام ! هذا المارد الذي نام طويلاً وبدأ يتململ من جديد! ويقول آخر : إنّ أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمدٌ جديد كل هذا يقال والمسلمون يسمعون ولا يتحركون! فمع كثرة المسلمين العددية إلا أنّهم أصبحوا غثاء كغثاء السيل...فلن ينصرنا ربنا إلا إذا أصبحنا كما قال سيدنا عبد الله بن رواحة رضي الله عنه : إنا لا نقاتل الناس بعددٍ ولا عدة ولا بكثرةٍ ولا قوةٍ! ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ؟ .

وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : (كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)